

المزاد

تأتيك أصواتهم سريعة قوية متوحدة ؛ لترج المكان :
- أين .. أين أنت يا؟!
- فلسطين تفتقدك يا أشجع الرجال
ولأنك لم تفعل مثل غيرك ، ممن رأوا ، وسمعوا ، حتى جعلوا من
آذانهم (وذن من طين وودن من عجين)
تنفض روحك تاركة الجسد فور سماعك تلك النداءات
المتكررة .. فإذا كان قد قدر لك ترك الحياة وما عليها ،
إلا أنك مازلت تعرف الأخبار .. كل الأخبار التي تأتيك عبر
من يقومون بزيارتك ليقرءوا عليك الفاتحة .. يبنونك
الأمهم .. أحلامهم يتحدثون معك عما يحدث للأمة ،
ويترحمون على ماضيك الجميل الذي ولّى ..
فور وصولك رحت تصلّي ركعتين تحية المسجد الأقصى ، ثم
تصلّي ركعتين شكراً لله تعالى من أجل نضال المقاومة الفلسطينية، ثم
رحت تقرأ الفاتحة ، وأنت تقف دقيقة حداداً على أرواح الشهداء .
روحك راحت تحلق في الهواء عالياً ، حتى وصلت إلى مكان
الأصوات التي ما زالت تناديك :
- أين .. أين أنت يا؟!
- فلسطين تفتقدك يا أشجع الرجال
تصدمك الكلمات المكتوبة بلون الدم .. رحت تقرؤها في همس :

(تعلن دولة إسرائيل العظمى أنه غداً سيتم البيع بالمزاد العلني لـ جميع مدن فلسطين ، والبيع قاصر فقط على الدول الحليفة ، وما عدا ذلك ممنوع الاقتراب ، ولكننا نسمح لهم فقط بالتصوير)

رحت تحديق في الوجوه _ تلك الوجوه التي بني حولها أسوار من حديد، بعضها راح ينادى عليك ، والبعض الآخر في محاولة منهم لكسر الأسوار الحديدية ؛ كي يصلوا إلى لافتة المزاد ؛ ليأكلوها أكلاً _ تبحث عن الملوك والأمراء والرؤساء والزعماء والقادة العرب الذين وعدوك بتحمل المسؤولية من بعدك ، أليسوا هم القائلين في يوم وداعك الكبير :

(اذهب أنت عليك سلام الله ونحن وراءك نحمل رايتك .. نكمل مسيرتك ، فالقدس لن تضيع .. لن تضيع !!)
تحزن عندما لم تعثر على أحد منهم ، أو حتى من ينوب عنهم .
رحت تحمد الله وتشكره ؛ لأنك فارقت الدنيا من قبل أن ترى هذا المشهد الأليم ..

تهمس في ألم للبقية الباقية من المناضلين :

(أنتم الصامدون ، وهم الصامتون)

ثم تردف في حسرة :

(البقاء لله وحده يا وحدة الصف العربي)

الصمت الثقيل راح يخيم عليك ، رحمت تصرخ فيه بشدة :

(كيف وصل بنا الحال لما هو عليه الآن..؟! كيف..؟!)

سكاكين الصمت راحت تلتف من حولك ؛ لتمزق ما تبقى

منك/ روحك.. ذلك الصمت الذي لم تذق طعم مرارته من قبل ، على

الفور تخرج من جيبك ورقة وقلماً ، ورحمت تكتب لهم :

(ارفعوا رؤوسكم عالية.. عالية إلى عنان السماء ، ورددوا ورائي :
"ارفع رأسك يا أخي "

ثم ..

"ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة "

إنني أطلب منكم يا أهل غزة ثلاثة أشياء.. نعم ثلاثة أشياء فقط :
الأمل ..الصبر ..الإيمان .. وأما عن القدس فلها رب يحميها. "جمال
عبد الناصر" (